في الاحياء من قال ان الباطن يخالف الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان اه وقال السري السقطي من
ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم فهو غالط وقال الدينوري لسان الظاهر لا يغير حكم الباطن وقال
ابو سعيد الخراز كل فيض باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وقال القشيري كل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة
غير مقبولة وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة غير محصولة فالشريعة قيام بما امر والحقيقة شهود لما
قضى وقدر واخفى واظهر والشريعة حقيقة من حيث انها وجبت بأمره والحقيقة ايضا شريعة من
حيث ان العارف به تعالى انما وجب عليه بأمره تعالى فعلى هذا من زعم ان له مع الله حالا اخرجه عن
حد العلم الشرعي فهو ضال عن الحق بل قال الغزالي من زعم ان له مع الله حالا اسقط عنه نحو الصلاة
او تحريم شرب الخمر وجب قتله وان كان في الحكم بخلوده في النار نظر وقتل مثله افضل من قتل مائة كافر
اذ كان ضرره اكثر اه قال العلامة ابن حجر بعد نقله ذلك في تحفته لا نظر في خلوده لانه مرتد باستحلاله
ما علمت حرمته او نفيه وجوب ما علم وجوبه ضرورة فيهما ومن ثم جزم في الانوار بخلوده فعلى هذا لا فرق
بين مذهب الصوفية وما عليه الفقهاء سوى ان الصوفية يأخذون لانفسهم بالاحوط والاوثق فيما
اختلف فيه وجمع مع الاجماع بينهما امكن وهذا اشق على النفس فيكون افضل لان الاجر على قدر المشقة
فعلم الباطن على هذا ثمرة علم الظاهر هذا وكثير من جهلة المتصوفة يطلقون القشر على علم الشريعة
امتهانا له واللب على علم التصوف الباحث عن المقامات والاحوال والمحبة والعشق وما اشبه ذلك تعظيما
له وانت تعلم ان امتهان علم الشريعة كفر ومنهم من يطلق ذلك عليه غير قاصد الامتهان بل سمعه
من بعض اخوانه او باعتبار انه علم يصون عن الزيغ ويحفظ العالم به عن الهيام في كل واد كما يحفظ القشر
لبه فهذا مع ما فيه من سوء الادب لم يسلم حيث اطلق على علم المرسلين ما يشعر بالذم وقال ابن خلدون
في مقدمة تاريخه هذا العلم اي التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة واصله ان طريقة هؤلاء القوم
لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية واصلها العكوف
على العبادة والانقطاع الى الله والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور
من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف فلما فشا
الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على
العبادة باسم الصوفية وهي مقالة طويلة فراجعها ان شئت والمقصود من ذلك كله الذكر وهو
العمدة في هذه الطريق كما قال الامام القشيري هو استيلاء القلب من المذكور وقيل طمأنينة القلب
بشهود الرب وقيل طلوع الانوار برؤية النهار وبلوغ الاماني بسرور وجداني فلا يصل احد الى الله
الا بدوام ذكره وهو مأمور به قال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وفي الحديث
قال الله تعالى يا ابن ادم اذا ذكرتني شكرتني واذا نسيتني كفرتني وقال صلى الله عليه وسلم من كان
يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله العبد
من نفسه وقيل الذكر افضل من الفكر لان الله يوصف به ولا يوصف بالفكر ومن خصائص الذكر
ان الله جعل في مقابلته ذكره قال تعالى فاذكروني اذكركم وهذا من خصائص هذه الامة لم يعط
احد قبلها كما ورد بذلك الحديث ومن خصائص الذكر انه غير موقت بل العبد مأمور به في كل وقت باللسان
والقلب قال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وافضل الذكر لا اله الا الله
للحديث بذلك والخفي منه افضل من غير الخفي كما نص عليه الجمهور لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا
وخيفة وانواعه ثلاثة ذكر لساني مع غفلة القلب وهو ذكر العوام وثمرته العقاب وهو المراد بقول
الشيخ الاكبر على ما قيل الا بذكر الله تطمئن القلوب الخ وذكر مع حضور القلب ويسمى ذكر البلادة وهو
ذكر الخواص وثمرته الثواب العظيم وذكر بجميع الجوارح وهو ذكر خواص الخواص وثمرته لا يعلمها

وثمرته لا يعلمها الا الله روي عن الحماد المالكي قال ذكر القلب يضاعف سبعين ضعفا على ذكر اللسان واما الذكر
اللساني فهو قليل الجدوى وكثيرا ما لا يسلم من البلوى واذا تأملت علمت ان الذكر باللسان بدون قلب لا فائدة
به ولا يوجب القرب منه تعالى واما قول الامام النووي في الاذكار فان اقتصر على احدهما فالقلب افضل فأراه
من قبيل قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة نعم الذكر بالقلب واللسان افضل من الذكر بالقلب وحده ان امن
من السمعة والرياء ثم ذكر القلب نوعان كما ذكره القاضي عياض قال احدهما وهو ارفع الاذكار واجلها التأمل في
عظمة الله تعالى وجبروته وملكوته واياته في ارضه وسمائه اه وقال في الرسالة قال المحقق الذاكرون اربعة المريد
والعارف والموحد والمحب فذكر المريد لا اله الا الله فهو متردد بين النفي والاثبات ومقتضاه نفي ما سوى
الله وذكر العارف الله ومقتضاه استيلاء احكام الصفات الالهية على العوالم الملكوتية وذكر الموحد هو
ومقتضاه اضمحلال العين بنور العيان وذكر المحب الاستهلاك ومقتضاه ذهابه عن الاسم والرسم والصفة
والعاشق لا ذكر له لذهابه به عنه ومن توجه لذكر من هو اعلى منه في الرتبة لا يترقى به ولو داوم ذاكرا به
الاعوام ومن رجع من ذكره الى ذكر من هو دونه فقد ابتلى بذل الحجاب وقد قيل كل ذاكر يجب الاستدامة على ذكره
الا ان يجد الانس بالمذكور فينفر من ذكره فحينئذ يترقى منه الى ما هو اعلى منه والذاكر بالاخلاص والصدق
جليس الملك الحق لقوله في الحديث القدسي انا جليس من ذكرني واصل الذكر الصفا وفرعه الوفا وشرطه الحضور
وبساطه العمل الصالح وخاصيته فتح من الله بحسب الاسم المذكور به والله الهادي ومن اراد الزيادة فعليه
بالمطولات والله اعلم **العلم الاربعون علم التاريخ وكان الختام** به لانه آخر احوال الانام وحكاية احوال
ذوي الايام وهو من اجل العلوم قدرا واجلاها في ظلمات الحيرة بدرا يكسب صاحبه النباهة حتى يفوق امثاله
واشباهه فيحوز المراتب العلية ويفوز بالمطالب السنية اذ به تستنير الفكر والالباب وتعلم حوادث الازمنة
والاحقاب وبمرآته ينكشف ما دونه الاولون من العلوم والصنايع ويظهر ما خفي من احوال القرون
السالفة واخبار الامصار الجامعة وما فيها من الآثار والمنافع ولله من قال: ليس بانسان ولا عاقل *
من لا يعي التاريخ في صدره * ومن درى اخبار من قبله * اضاف اعمارا الى عمره * ولذا كان بعض الملوك يوصي
ولده دائما بقوله يا بني لا تغفل عن قراءة الكتب ولا سيما التواريخ القديمة فانك تطلع بها بكل سهولة على
ما كسبه غيرك بكل تعب ومن فوائد التاريخ كشف عورة الكاذبين وتمييز حال الصادقين ولا يخفى
حكاية اليهود لما اظهروا كتابا وزعموا انه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن اهل خيبر
وفيه شهادة جماعة من الصحابة منهم سعد بن ابي وقاص ومعاوية بن ابي سفيان فظهر بذلك كذبهم
لان فتح خيبر كان سنة سبع ومات سعد يوم قريظة قبل خيبر بسنتين ومعاوية انما اسلم عام الفتح
ولا يجهل نفعه الا ساقط الهمة جامد القريحة وقد ذكر الله تعالى التاريخ في كتابه فقال يسألونك
عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج واول من ارخ اولاد آدم كما رواه ابن عساكر في تاريخه قال
لما اهبط آدم من الجنة وانتشر ولده ارخ بنوه من هبوط آدم فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحا عليه
فارخوا لمبعثه حتى كان الغرق فهلك من هلك وخرج نوح وذريته ومن معه فكان التاريخ من الطوفان
الى زمن نار ابراهيم واقدم التواريخ التي بايدي الناس تاريخ القبط لانه بعد الطوفان ثم اجتمع راي كل ملة
تاريخ الروم واليونان بالاسكندر والقبط بملك بختنصر وبنو اسحق من مبعث بني الماحز حتى اتى عام
الفيل فجعلوه تاريخا واعلم ان التاريخ في اللغة مصدر بمعنى تعريف الوقت وقيل معرب من ماه روز ومعنى
ماه الشهر وروز اليوم وعادة العجم تقديم المضاف اليه على المضاف فعرب ماه روز بمورخ وجعلوا مصدره
التاريخ واستعملوه في وجوه التصاريف وفي الاصطلاح تعريف الوقت باسناده الى اول حدوث امر شائع
كظهور ملة وكوقعة الطوفان وفي مفتاح العلوم التاريخ كلمة فارسية اصلها ماه روز فعربت

Copyright © King Saud University